بسم الله الرحمن الرحيم

مجالس شرح تفسير الجلالين

الدرس الثالث

سورة الفاتحة: من قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى قوله ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

الخميس ٢ جمادى الآخرة ١٤٤٨هـ، الموافق ١٢ نوفمبر ٢٠٢٦م

ألقاه فضيلة

الدكتور علي سنوسي

تفريغ الدرس الصوتي مرتبًا تحت عناوين، والكلام كلام الشيخ؛ أما العناوين فمن وضع المفرّغ، وأما نص المتن المؤطَّر فمنقول من تفسير الجلالين.

تمهيد:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فقد توقفنا في الدرس الماضي، في المجلس الماضي، عند قول الإمام الجلال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، قال: **جملة خبرية**.

وقد سبق أن قلت لكم: إن هذا الكتاب مليء بالعلم، وفيه علوم كثيرة وفنون كثيرة؛ ليس فيه التفسير فقط، وليس فيه بيان معاني القرآن الكريم فقط، وإنما فيه علوم كثيرة تعين على فهم القرآن الكريم، ومنها علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة واشتقاق وغير ذلك.

أولًا: قوله «الحمد لله جملة خبرية»:

> **قال الجلال المحلي رحمه الله:** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها، من أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق، أو مستحق لأن يحمدوه.

◆ الجملة والمفرد:

الجملة هي **الكلام المفيد** عند النحويين، والألفاظ تنقسم إلى مفردات وجمل. فاللفظ المفرد هو الواحد: خالد، أو محمد، أو بيت، أو مسجد؛ هذا مفرد. والجملة هي الكلام، أو اللفظ المركب المفيد. ولذلك جعل «الحمد لله» جملة وليست مفردًا.

◆ تقسيم الكلام عند علماء البلاغة إلى خبر وإنشاء:

أشار المؤلف هنا إلى مسألة من مسائل علم البلاغة، وهي تقسيم الكلام أو تقسيم الجملة. فالكلام يقسمه علماء البلاغة إلى قسمين: **جملة خبرية**، و**جملة إنشائية**.

الجملة الخبرية هي التي تحكي الواقع، هي التي تخبر عن شيء وقع أو أنه واقع. فقولك: «سافر أبي» جملة خبرية؛ لأنك تحكي سفر والدك وأن هذا الأمر قد حصل. أو «سأسافر»: تخبر أيضًا بأن سفرك سيقع. هذه تسمى جملة خبرية.

الجملة الإنشائية هي التي لم يقع معناها، وإنما يقع بعد التكلم بها، كالأمر مثلًا: اذهب، اقرأ، اكتب. هذا المخاطب لم يقرأ، ما وقعت منه قراءة حتى تخبرنا بها، ولم تقع منه كتابة. و«اكتب» جملة، لا تقل لي: مفرد؛ «اكتب»

فعل، وفاعله مستتر، والفعل وفاعله جملة. لكن هذه الجملة تسمى إنشائية؛ لأنك تنشئ بها، أي تبتدئ بها معنى سيقع بعد التكلم بها، فمخاطبك الآن يبتدئ بالكتابة أو بالقراءة أو بالذهاب.

وتقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء من أبواب **علم المعاني**، وعلم المعاني فن من فنون البلاغة الثلاثة التي هي: المعاني، والبيان، والبديع.

◆ «الحمد لله» خبرية في اللفظ، إنشائية في المعنى:

المؤلف يقول: «الحمد لله» جملة خبرية وليست إنشائية في اللفظ؛ لأن «الحمد» مبتدأ، و«لله» جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر. هذه جملة، أهي إنشائية أم هي خبرية؟ قال لك: هي جملة خبرية، بمعنى أنها أخبرتنا عن شيء حاصل، وهو كون الحمد لله عز وجل، وكون الحمد لله أمر واقع.

لكن هل يراد بهذه الجملة إخبارنا بأن الحمد واقع؟ أو هي في اللفظ خبرية ولكنها في المعنى إنشائية، بمعنى أننا الآن ننشئ حمدًا، أي ثناء لله؟ نعم، هي في اللفظ خبرية، لكن ليس المراد بها ذلك، وإنما المراد أنك عندما تقولها تنشئ وتبتدئ حمدًا، أي ثناء لله، ووصفًا له بالجمال والكمال وبصفاته جل وعلا. هذا معنى قوله: «الحمد لله جملة خبرية»، أي جملة مكونة من مبتدأ وخبر، وتسمى خبرية لأنها ليست إنشائية في لفظها، **لكن قُصد بها الإنشاء**.

> **فائدة:** الجملة الخبرية قد يراد بها الإخبار فقط: أن تخبر أن شيئًا أو حدثًا وقع، أو سيقع، أو هو واقع الآن. وقد يراد بها الإنشاء: هي في اللفظ خبر، ولكن يراد بها الإنشاء، أي أن معناها ومضمونها سيقع بعد التكلم بها. فقولك: «الحمد لله» أنت الآن تبدأ ثناء على الله عز وجل، ووصفًا له بصفاته، صفات كماله وجلاله.

◆ معنى قوله «قصد بها الثناء على الله بمضمونها»:

هذا معنى قوله: جملة خبرية **قُصد بها الثناء على الله بمضمونها**؛ يريد بهذا أنها إنشائية في المعنى، يعني: أنت أيها المتكلم الحامد لله قصدت بها أن تثني بها على الله عز وجل، تثني بمضمونها، أي بمعناها.

ومضمون الشيء هو ما في داخله من المعنى؛ مضمون هذا الكلام أي معناه. ومضمون «الحمد لله» هو ثبوت الحمد لله: استحقاق الله للحمد، أو ملكه له، أو اختصاصه به. فهذا هو المراد بقصد الثناء على الله بمضمون هذه الجملة، أي بمعناها، وهو ثبوت الحمد لله.

ثانيًا: معاني «أل» في «الحمد»:

ما معنى «الحمد لله»؟ ما معنى هذه الجملة؟ ما معنى النسبة الحاصلة بين «الحمد» و«لله»؟ المؤلف هنا أشار إلى علم آخر، وهو ما يتعلق بالنحو، وهو **معاني الأدوات**، أي الحروف.

«أل» تأتي اسمًا وتأتي حرفًا، لكنها هنا حرف. فما معنى هذا الحرف؟ تأتي «أل» عند علماء اللغة لهذه المعاني الثلاثة:

- **للاستغراق**: يراد بها العموم، أي أنها تستغرق كل معاني الحمد، كل أفراد الحمد.
- **للعهد**: والعهد معناه المعهود، أي الشيء المعروف؛ تقول: هذا الأمر معهود لنا، أي معروف عندنا.
- **للجنس**: أي للماهية؛ كقولك مثلًا: «الرجل»، فـ«أل» هنا يصح أن يراد بها جنس الرجل، أي ماهية الرجل التي تخالف ماهية المرأة مثلًا.

وهذا كلام يحتاج إلى تفصيل، لكن المؤلف لم يتعرض له فلا نطيل الكلام فيه؛ نحن نريد ألا نطيل كثيرًا، حتى نتمكن بإذن الله، إن كان في العمر بقية، أن ننتهي من هذا التفسير؛ لأننا لو جلسنا نتكلم في كل كبيرة وصغيرة مما ذكره أهل العلم لا نفعل شيئًا.

ثالثًا: معاني اللام في «لله»:

بعد «أل» التي في «الحمد»، اللام في «لله» أيضًا لها معانٍ:

- **للملك**: أي تدل على أن ما بعدها مالك للشيء الذي قبلها. «الحمد» قبل اللام، و«الله» بعد اللام؛ فما بعد اللام مالك لما قبلها، وهو الحمد. هذا إذا جعلتها للملك.
- **للاستحقاق**: وإذا جعلتها للاستحقاق فإن ما بعد اللام مستحق للحمد، أي يستحق من الخلق أن يحمدوه، يستحق الحمد من عباده.
- **للاختصاص**: وإذا جعلت اللام للاختصاص فمعنى ذلك أن ما بعدها، وهو الله، مختص بالحمد، أي أن الحمد له هو فقط، ولا يتجاوزه إلى غيره.

هذه من معاني اللام. فاللام في «لله» هنا، كيف فسرها المؤلف الجلال المحلي؟ قال: «الحمد لله» جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها **من** أنه... و«من» هذه **بيانية**، أي تبين المضمون. فما هو المضمون؟

◆ قوله «مالك لجميع الحمد من الخلق»:

قال: هو **أنه تعالى مالك لجميع الحمد**. قوله: «مالك»، انظروا كما قلت لكم: الكتاب فيه علم كثير. «مالك» أشار به إلى أن اللام في «لله» **للملك**، أي أن الله مالك لكل الحمد من الخلق؛ حمد الخلق جميعًا مملوك لله عز وجل، ثناؤهم كله مملوك لله.

> **لطيفة في قوله «من الخلق»**: هذا كلام حقيقةً يحتاج إلى كلام كثير، لكن نكتفي بقوله: «من الخلق»؛ لأن الحمد يكون من الله عز وجل لنفسه، الله عز وجل يحمد نفسه، ولا نقول: إن حمد الله لنفسه مملوك؛ ولذلك المؤلف قال: «من الخلق»، أي حمد الخلق. فتنبه إلى هذه الإشارات الجميلة.

◆ قوله «أو مستحق لأن يحمدوه»:

ثم قال: **أو مستحق لأن يحمدوه**؛ أشار به إلى أن اللام يصح أن نجعلها **للاستحقاق**. فهو مستحق لأن يحمدوه؛ لأنه ربهم وخالقهم وإلههم، والمتصف بصفات الكمال والجمال، وبهذا يستحق من الخلق أن يحمدوه.

ولذلك قلت لكم: لا بد أن تركز مع عبارات المفسر، وبذلك تستخرج العلوم التي تضمنها هذا التفسير.

◆ الفرق بين لام الملك ولام الاستحقاق ولام الاختصاص:

لام الملك هي التي تقع بين شيئين أحدهما يملك، أحدهما يتأتى منه الملك، كما هنا: الله عز وجل يملك. ومثاله: «المال لزيد»؛ فاللام هنا للملك؛ لأن زيدًا يملك المال.

ولام الاستحقاق أعم من لام الملك؛ هي تشمل لام الملك، وتدل على معنى آخر، وهو أن تكون واقعة بين ذاتين أحدهما لا يتأتى منه الملك، كقولك: «الباب للدار»، أو «الجُلّ للفرس» مثلًا. هل تقول: إن هذه اللام للملك؟ والجواب: لا؛ لأن الدار لا تملك، لكنها تستحق هذا. فاللام هنا لا يصح أن تكون للملك؛ لأن هذه الأشياء لا تملك.

ولام الاختصاص هي التي تقع بين معنى وذات. «الحمد لله»: الحمد معنى، الحمد ليس شيئًا له أرجل أو أيدٍ أو يمشي، هذا معنى يقوم بالغير. ومثله: الكرم لله، الجود لله؛ هذه معانٍ. فاللام التي بعد هذه المعاني نسميها **لام الاختصاص**، تدل على أن ما بعدها مختص بهذه الأشياء.

> **قاعدة للتطبيق**: هذه قواعد، لك أن تطبقها على الشواهد والأمثلة التي تمر بك، فتتأملها وتنظر وتقول: هذه اللام ما معناها؟ وهذه اللام ما معناها؟ فإذا وجدت أن ما بعد اللام يملك ما قبلها ويتأتى منه الملك، مثل:

«المال لفلان»، و«الحمد لله»، فهذه اللام للملك، ويصح أن تكون للاستحقاق؛ لأن الاستحقاق كما قلنا أعم من الملك.

والشاهد أن الجلال المحلي أشار إلى أن اللام في «لله» يصح أن تكون للملك، ويصح أن تكون للاستحقاق؛ والذي دل على ذلك قوله: «من أنه»، و«من» هذه البيانية تفسر بـ«هو» أو بـ«أي»، فهي تفسر قوله: «بمضمونها». ما هو المضمون؟ هو أن الله تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق، فاللام للملك، أو أنه مستحق لأن يحمدوه، فاللام للاستحقاق.

◆ قوله «لجميع»: إشارة إلى أن «أل» استغراقية:

والمؤلف بقوله: «**لجميع**» أشار إلى أن «أل» في «الحمد» **استغراقية**، أي أنها تدل على استغراق وعموم كل أفراد الحمد، وليست جنسية، وليست عهدية، بكلام المؤلف: «لجميع». فأنت الذي تستخرج هذه العلوم من كلام المؤلف؛ ولذلك الكتاب، كما أقول لكم، كتاب مليء، ويحتاج إلى طالب مركّز حتى يقف على هذه المعاني.

«أل» الاستغراقية هي التي تصلح مكانها «كل»، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾، فـ«أل» هذه استغراقية، أي: إن كل فرد من أفراد الناس لفي خسر إلا الذين آمنوا. إذن لما قال: «جميع» أشار به إلى أن «أل» في «الحمد لله» للاستغراق.

◆ معنى الحمد:

والحمد معناه الثناء والوصف: أن تصف الله عز وجل بصفات جماله وكماله، هذا يسمى حمدًا؛ أن تثني عليه، أن تصفه بصفات جميلة.

رابعًا: قوله «والله عَلَم على المعبود بحق»:

قال الجلال المحلي رحمه الله: والله عَلَم على المعبود بحق.

◆ معنى العَلَم:

ثم انتقل إلى «لله»: «الحمد لله»، ما معنى «لله»؟ قال: **والله عَلَم على المعبود بحق**. العَلَم هو الدال لتعيين المسمى، لتعيين الذات المعيَّنة. فأسماؤكم أعلام: اسمك زيد، وخالد، ومحمد، وبكر، وعلي؛ هذه نسميها أعلامًا؛ لأنها علامة تدل على تعيين مسماها وتمييزه عن غيره.

و«الله» عَلَم، اسم لله من أسمائه جل وعلا؛ الله له أسماء، وأعمها هو «الله». وهذا الاسم لا يُطلق إلا على المعبود بحق.

◆ هل لفظ الجلالة مرتجل أم مشتق؟

أشار المؤلف هنا إلى خلاف بين العلماء في هذا الاسم: هل هو **مرتجل** أم **مشتق**؟

- **المرتجل**: أي أنه وُضع هكذا أول ما وُضع، وأول ما تُكلم به هكذا، وليس مأخوذًا من أي مادة ومن أي كلمة أخرى؛ فالمرتجل هو الذي لم يؤخذ من غيره.
- **المشتق**: هو الذي أُخذ من غيره. فإذا قلنا: إنه مشتق، فـ«الله» أصله «الإله»، و«إله» فعله: أَلَهَ أو أَلِهَ... إلى الكلام الكثير الذي يذكر، لا نخوض فيه.

◆ الفرق بين «الله» و«الإله»، ونكتة قوله «بحق»:

لما كان المؤلف قال: «الله عَلَم على المعبود بحق»، فكأنه يشير إلى أن هذا العلم مشتق من الإله، والإله معناه المعبود. لكن هذا العلم لا يُطلق إلا على المعبود بحق، بخلاف «إله»؛ فهو أعم من «الله»: يُطلق على المعبود بحق، ويُطلق على غير المعبود بحق؛ فاللات والعزى ومناة وهُبَل... إلى آخره، هذه كلها يُطلق عليها «آلهة»، ولكن ليس هناك شيء يُطلق عليه «الله» إلا المعبود بحق.

فلذلك قال: **والله عَلَم على المعبود بحق** خاصة؛ ولا تقل لي: عَلَم على المعبود، فتنقض، لو لم تقل: «بحق». انتهينا من «الحمد لله».

خامسًا: قوله تعالى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

قال الجلال المحلي رحمه الله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يطلق عليه عالَم، يقال: عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك، وغُلِّب في جمعه بالياء والنون أولو العلم على غيرهم، وهو من العلامة؛ لأنه علامة على موجِده.

◆ معنى «الرب»:

«رب» هذه صفة لله، من صفات الله أنه هو الرب. ما معنى «رب»؟ كلمة «رب» كلمة عظيمة، كلمة كبيرة، يعني لها معانٍ غزيرة وكثيرة جدًّا. والحقيقة أن من عظمة هذه الكلمة أنك تجد الأنبياء عليهم السلام يكثرون منها في ندائهم لله عز وجل وفي دعواتهم: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾؛ تجد أكثر نداءات الأنبياء «رب».

الرب يا جماعة معناه: **المنشئ** من العدم إلى الوجود، و**الخالق**، وهو **المربي**؛ هو المهيئ لهذا المخلوق لما يصلحه. خلقك الله عز وجل، وهداك لما يصلحك في معاشك.

◆ الربوبية العامة والربوبية الخاصة:

وهذا الأمر يشترك فيه كل المخلوقات: إنسها وجانها، عاقلها وغير عاقلها، بهيمها وكافرها؛ كلهم مربوبون لله عز وجل، أي أن الله ربهم، أي خلقهم، وهدى كل شيء منهم إلى ما يصلحه في هذه الحياة.

هدى الإنسان إلى أن يبحث عن طعامه منذ أن خرج من بطن أمه، هداه لأن يلتقم ثدي أمه، وهداه إلى أن ذلك المكان هو الذي ينفعه. وهداه إلى أن يسعى لكسب رزقه بعد أن يكون كبيرًا، وهداه إلى أن يستر نفسه، وهداه لأن يأكل ولأن يشرب. هذا كله داخل في الربوبية، وهذا يشمل الكافر وغيره، وهذه **ربوبية عامة**.

والعلماء ذكروا **ربوبية خاصة**، وهي ربوبية الله عز وجل للمؤمنين الصادقين من عباده، وأن يهيئهم لما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

فـ«رب» أي: الخالق، المدبر، الرازق؛ كل هذه العوالم التي في الكون، كل هذه التقلبات، كل هذه التصرفات، كلها داخلة في الربوبية، كلها داخلة في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

◆ إطلاق كلمة «الرب» على غير الله:

كلمة «الرب» أيها الأحبة ذكر العلماء فيها أنك لا تذكر كلمة «رب» مطلقة إلا إذا أردت بها الله عز وجل. فإن أردت بها غير الله فلا بد أن تضيفها إلى ذلك الشيء الذي هو مربوب: رب المال، رب الدار.

وقالوا أيضًا: ينبغي أن تضاف إلى غير العاقل إذا لم يرد بها الله عز وجل؛ فتقول: رب المال، ورب الدار، ورب السيارة. أما أن تقول: «أنت الرب»، وتريد بذلك أنه رب الدار، فلا ينبغي هذا.

وأحيانًا تضاف إلى العاقل إذا كانت بمعنى **السيد**، كما في الحديث: «أن تلد الأمة ربتها». أما إذا كانت بمعنى **المالك** فلا تضاف إلا إلى غير العاقل. فكلمة «الرب» اسم غزير بالمعاني، أدخل فيه الدنيا كلها بتقلباتها وتصرفاتها؛ كلها داخلة في الرب.

◆ «العالمين» جمع مذكر سالم:

«العالمين» جمع، جمع مذكر سالم. والجموع كما تعلمون أنواع، وهذه مصطلحات النحويين:

- **جمع المذكر السالم**: أي الذي مفرده سالم لم يتغير؛ تقول في خالد: خالدون، فلم تغير «خالد»؛ ولذلك يسمى سالمًا؛ لأن «خالد» سلم ولم يتغير. وكذلك: محمدون، وزيدون.
- **جمع التكسير**: «رجل» تقول فيه: «رجال»؛ «رجال» جمع، لكنك كسرت وغيرت «رجل»، لم تتركه كما تركت خالدًا وزيدًا ومحمدًا؛ فـ«رجال» جمع مكسَّر، جمع تكسير، وهذا جمع أيضًا.
- **جمع المؤنث السالم**: فاطمات وهندات؛ هذا جمع مؤنث سالم.

◆ جمع المذكر السالم لا يكون إلا للعقلاء:

جمع المذكر السالم يا جماعة لا يكون إلا للعقلاء، إلا لذوي العلم، أي الذين هم مهيؤون للعلم، كالناس والبشر مثلًا: الصالحون، المؤمنون، الزيدون، الخالدون، المحمدون، سواء كانت أعلامًا أو صفات.

ولا يُجمع غير العقلاء بالواو والنون والياء والنون؛ لا تقول مثلًا في «فرس»: فرسون، الفرس غير عاقل؛ أو تقول في «جبل»: جبلون، الجبل ليس عاقلًا فلا تجمعه بالواو والنون: جبلون أو جبلين؛ أو تقول مثلًا في «كتاب»: كتابون. الواو والنون هذه لا تأتي إلا في جمع العقلاء كما قلنا، وكذلك صفات العقلاء، كالصلاح: صالحون، ومؤمنون، ومسلمون، إلى آخره.

◆ «العالَم» وأجناسه:

طيب، هنا «العالمون». «العالمون» يا جماعة جمع «عالَم»، و«عالَم» مفرد. **والعالم كل ما سوى الله**؛ كل شيء غير الله عز وجل يُطلق عليه عالم، وهو أنواع وأجناس: البشر عالم، هذا جنس مستقل؛ الجن عالم؛ الحيوانات عالم؛ البحار عالم؛ الجبال عالم؛ كل هذه أجناس مختلفة، كل واحد منها عالم.

أنت الآن إذا أردت أن تجمع جمع مذكر سالم يكون عندك ثلاثة أشياء اسمها واحد: فلان اسمه محمد، وهذا محمد، والآخر محمد؛ ثلاثة اجتمعوا، تريد أن تجمعهم فتقول: محمدون. زيد وزيد وزيد: عندك طالب اسمه زيد، والطالب الثاني اسمه زيد، والثالث اسمه زيد؛ تريد أن تجمعهم فتقول: زيدون.

و«عالَم» مفرد. انظر إلى العوالم هذه: فيها عقلاء وفيها غير عقلاء، وأنتم قلتم: جمع المذكر السالم لا يكون إلا جمعًا للعقلاء! أنتم البشر لا إشكال، أنتم تُجمعون بالواو والنون، لكن عالم الحيوانات وعالم الجبال والبحار والأشجار، هذه العوالم ليست عاقلة؛ فكيف جُمعت بالواو والنون، والقاعدة أن هذا جمع للعقلاء ولصفات العقلاء؟ هذا ما أشار إليه المؤلف.

◆ تفسير المؤلف: «أي مالك جميع الخلق»:

فسر **الرب بالمالك**. والرب كما قلنا له معانٍ متعددة: منها **السيد**، كسيد العبيد مثلًا يسمى ربًّا، كما قلنا: «أن تلد الأمة ربتها»؛ ومنها **المالك**. فقال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي **مالك جميع الخلق**؛ ما قال لك: جميع البشر، جميع الناس؛ لا، الخلق، جميع الخلق بأجناسهم، أي كل ما سوى الله.

من الإنس، وهذا جنس من المخلوقات، والجن جنس من المخلوقات، والملائكة جنس من المخلوقات، والدواب جنس من المخلوقات، والبحار جنس من المخلوقات؛ كل هذه المخلوقات كل واحد منها عالم. إذن عالم الإنس عالم، وعالم الملائكة عالم ثانٍ، وعالم الجن... إذن عالم وعالم وعالم وعالم؛ هذه كلها اجتمعت عندنا، ثلاثة أو أربعة أو خمسة، ونريد أن نجمعها كما جمعنا زيدًا وزيدًا وزيدًا. كيف نجمعها وهي الآن خليط، فيها العاقل وفيها غير العاقل؟ أتجمعها جمع العقلاء بالواو والنون، أو تجمعها جمع تكسير مثلًا؟ يقول لك: القرآن جمعها جمع العقلاء، فقال: «عالمين»، «عالمون» بالواو والنون في حالة الرفع، و«عالمين» بالياء والنون في حالة النصب أو الجر.

ولذا قال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي العوالم الكثيرة، رب جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، **وكل منها يطلق عليه عالم**؛ فتقول: عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وعالم الدواب، وعالم البحار، وعالم الجبال، إلى غير ذلك.

◆ التغليب وسره البلاغي:

فإذا كانت هذه العوالم كلها ليست عاقلة، فكيف جمعتموها بالواو والنون؟ جمعناها بالواو والنون لأن فيها بشرًا، فيها ناس؛ هي خليط من العقلاء وغير العقلاء، فيها ذوو العلم.

تنبيه على المصطلح: كلمة «عقلاء» نحترز منها بعدُ، نتركها ونستعمل «ذوي العلم»، أي الذين من شأنهم أن يعلموا. وهناك أشياء لا تعلم: الجبال لا تعلم؛ تقول للجبل: يتعلم؟ أو الشجر يتعلم؟ أو البحر يتعلم؟ لا تتعلم؛ هذه ليست ذوات علم، أي ليست مهيأة للعلم. أما الجن والإنس والملائكة فهذه ذوات علم، أي مهيأة للعلم، من شأنها أن تعلم، وهي التي تُجمع أفرادها إذا اجتمعت بالواو والنون.

كيف جمعتم العوالم الأخرى التي لا تُجمع بالواو والنون؟ انتبه لي الآن: **القاعدة تقول: إذا اختلط ذوو العلم مع غيرهم، فهنا يجوز أن تغلّب أحدهما على الآخر**. الآن أمامك ذوو العلم، وهم البشر والملائكة والجان، وأمامك عوالم أخرى كثيرة، أكثر من البشر: البحار والأشجار والدواب والحيوانات؛ هذه أكثر من البشر. وأنت الآن غلّبت جانب ذوي العلم، فكأن العالم هنا لا يراد به إلا العقلاء، مع أن في داخلهم غير العقلاء. هذا يسمى **التغليب**.

التغليب: أن يختلط شيئان، أحدهما يستحق الشيء والآخر لا يستحقه، ولكنك تعامل الذي لا يستحق الشيء معاملة من يستحقه. فأنت الآن عاملت العوالم الأخرى التي لا تستحق الجمع بالواو والنون والياء والنون معاملة ذوي العلم، غلّبت هذا الجانب.

وهذا لا يكون إلا لنكتة بلاغية، إلا لسبب بلاغي. لماذا غُلِّب ذوو العلم؟ **تعظيمًا لهم، واهتمامًا بشأنهم، وعناية بهم**، وإن كانوا قليلين بالنسبة لبقية العوالم؛ لأنهم المكلَّفون، ولأنهم الذين تحملوا الأمانة؛ ولذلك غُلِّبوا، فجُمع العالَم الذي يشملهم ويشمل غيرهم بالياء والنون تغليبًا لهم.

ولذلك قال المؤلف: **وغُلِّب في جمعه بالياء والنون أولو العلم على غيرهم**. ما الذي غُلِّب؟ غُلِّب أولو العلم، الذين تسمونهم العقلاء، على غيرهم؛ أي اعتُبروا وجُعلوا هم المهتمَّ بهم والمعتنى بهم، فعومل الجميع معاملة ذوي العلم، فجمعناهم بالياء والنون؛ لأن جمع المذكر السالم في حالة النصب وفي حالة الجر يُنصب ويُجر بالياء، فتقول: جاء الزيدون، بالواو، ورأيت الزيدين، ومررت بالزيدين؛ كما تقول: هؤلاء عالمون، ورأيت عالمين، ونظرت إلى عالمين. هذا هو **السر البلاغي** في جمع «العالمين» بالواو والنون، مع أن أكثرهم ليسوا ذوي علم.

◆ لماذا سُمي الخلق عالَمًا؟

قال: **وهو من العلامة؛ لأنه علامة على موجده**. سُمي الخلق كله عالمًا لأنه علامة على خالقه وعلى موجده، علامة على الله، علامة على وجود الله وعلى عظمته. وهو مأخوذ من العلامة، والعلامة هي التي تدل على الشيء.

هذا معنى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، من هو الله؟ الموصوف بأنه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. فأثناء قراءتك تدبر هذه المعاني.

سادسًا: قوله تعالى ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

قال الجلال المحلي رحمه الله: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أي ذي الرحمة، وهي إرادة الخير لأهله.

◆ اسمان يأتيان صفتين:

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ هنا صفتان. «الرحمن» قد جاء اسمًا من أسماء الله عز وجل، و«الرحيم» كذلك، ولكن قد يأتيان صفتين إذا سُبقا بموصوف، والآن سُبقا بلفظ الجلالة «الله» عز وجل؛ إذن «الله» يراد به الذات، و«الرحمن» صفته، و«الرحيم» صفته.

◆ صيغة «فعلان» والمبالغة:

«الرحمن» على وزن «فعلان». صيغة «فعلان» هذه قال علماء الصرف: إنها تفيد المبالغة. والحقيقة أن المبالغة هنا ليس معناها أنها من صيغ المبالغة الخمس التي تعرفونها؛ هذه هي صيغ المبالغة، وليست «فعلان» منها. وإنما المبالغة هنا قالوا: من حيث **كثرة الحروف**.

وطبعًا في هذه المسألة كلام كثير، أيضًا ما نخوض فيه. «رحمن» و«رحيم» تكلم العلماء في هذين الوصفين وفي هاتين الصيغتين: هل هما صفتان مشبهتان، أم هما صيغتا مبالغة؟ المهم: ماذا قال المؤلف؟ أنا أشرت إلى هذه المسألة حتى من أراد أن يبحث عنها يبحث، لكن نحن لا نخوض في الكلام.

منهج الشيخ في الدرس: نحن لا نتجاوز كلام المؤلف، لكن نخالفه في مسألة عقدية فقط.

◆ الفرق بين «الرحمن» و«الرحيم»:

«الرحمن» هو المتصف بالرحمة، و«الرحيم» هو المتصف بالرحمة؛ لكن لماذا جمع بينهما؟ كثير من المفسرين يقول: «الرحمن» أعم من «الرحيم» من حيث مورده، بمعنى: الأشياء التي يرد عليها هذا الوصف، وهو الرحمة المشتق منها، أعم من الأشياء التي تقع عليها الرحمة المشتق منها «الرحيم».

- **الرحمن**: هو من تصل رحمته إلى كل خلقه، سواء أكانوا كفارًا أم كانوا مسلمين، حيوانات وغيرها.
- **الرحيم**: هو من تختص رحمته بالمؤمنين: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

هذا قول، وهناك أقوال أخرى.

◆ الرحمة صفة لائقة بجلال الله لا تشبه رحمة الخلق:

ماذا قال المؤلف؟ قال: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ **أي ذي الرحمة**، أي صاحب الرحمة. والرحمة صفة من صفات الله عز وجل لائقة بجلاله، لا تشبه رحمة الخلق.

رحمتك أيها الإنسان: أنت متصف بالرحمة، الله وصفك بالرحمة، لكن رحمتك ورحمة الله بينهما كما بين ذاتك وذات الله على السواء؛ الفرق بينك وبين الله هو الفرق بين رحمتك ورحمته؛ كما أن الله لا يشبهك، كذلك رحمته لا تشبه رحمتك.

رحمتك أنت عاطفة ناشئة من قلبك تجاه منظر معين؛ تقول: فلان يرحم فلانًا، أي رقة في القلب ناشئة عن موقف معين؛ هذه رحمتك أنت. ورحمة الله ليست كذلك؛ هي صفة لائقة بجلاله، بها يرحم العباد، وبها يُحسن إليهم.

◆ تنبيه عقدي: تفسير الرحمة بـ«إرادة الخير» تأويل:

إحسان الله عز وجل إلى الخلق ليس هو معنى الرحمة، وإنما هذه **آثار الرحمة**. ولذلك إذا قلت: «الرحمن» أي المحسن إلى الخلق، فأنت أوّلت هذه الصفة؛ أوّلت بمعنى أنك فسرت الصفة بلازمها ولم تفسر الصفة ذاتها، وهذا تأويل، ونحن قلنا: نتجنب التأويل.

ولذلك المؤلف قال: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أي ذي الرحمة، ثم فسر الرحمة بقوله: «**وهي إرادة الخير لأهله**»، إرادة الخير لأهل الخير؛ هذا تأويل. هذه ليست الرحمة، وإنما هذه من آثار الرحمة، هذه من لوازم الرحمة. الرحمن يوصل الإحسان، أو يوصل الخير إلى غيره، إلى الخلق، لكن هذا ليس هو معنى الرحمة.

> **الخلاصة:** الرحمة صفة من صفات الله عز وجل لائقة بجلاله، بها يرحم عباده، وبها يوصل إليهم الإحسان والخير، وبها يوصل إليهم كل خير. فقوله: «وهي إرادة الخير لأهله» تفسير باللازم، وليس صحيحًا.

◆ كثرة المباني تدل على كثرة المعاني:

إذن هو الآن قال لك: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أي ذو الرحمة؛ «الرحمن» ذو الرحمة، وكذلك «الرحيم» ذو الرحمة. ولم يسترسل المؤلف في ذكر كلام المفسرين الآخرين، ولذلك نحن أيضًا نقتصر على ما ذكر.

لكن قلنا إشارة لطيفة: إن «الرحمن» قالوا: أبلغ من «الرحيم»؛ لأن حروفه أكثر. وقاعدتهم، وإن كانت أغلبية: أن **كثرة المباني تدل على كثرة المعاني**؛ كثرة حروف الكلمة تدل على أن معانيها أكثر، بخلاف الكلمة التي حروفها

أقل. ولذلك قالوا: «الرحمن» هو من تكون رحمته شاملة للجميع وإن كانوا كفارًا، وأما «الرحيم» فهو الذي تكون رحمته خاصة بالمؤمنين.

خاتمة المجلس:

قال رحمه الله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾... نقف هنا؛ لأن الساعة تمت، ولا نريد أن نتجاوز الساعة. بارك الله فيكم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.